**الإفخارستيا**[[1]](#footnote-1)

**لنيافة الأنبا بيشوى**

أنا سعيد أن ألتقى بكم فى هذا الاجتماع.. وسوف نتكلم عن الإفخارستيا، فى بداية سلسلة دراسة هنا عن هذا الموضوع، بناء على طلب نيافة الأنبا دافيد -ربنا يطول عمره- وبصلوات قداسة البابا شنودة الثالث -ربنا يخليه لينا..

الإفخارستيا هى سر التناول المقدس أو سر الشكر. والإفخارستيا باليونانية  (إفخارستيا أو يوخارستيا) وتعنى "الشكر". فى صلوات القداس الإلهى أنتم معتادون على سماع الكاهن يقول: "فلنشكر الرب" وباليونانية أو القبطية "إفخاريستى سومين تو كيريو" ويرد الشعب "مستحقٍ وعادل". وعبارة "إفخارستى" هى مثل "إفخارستيا" بعد التصريف. وفى اللغة الإنجليزية Eucharist هو سر الشكر.

**لماذا سمى سر الشكر:**

للرد نحتاج إلى الرجوع إلى الأصحاح الخامس من سفر الرؤيا الذى ذكر فيه ما يلى: "وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخاً أَمَامَ الْحَمَلِ، وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ بَخُوراً هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ. وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ وَجَعَلْتَنَا لإِلَهِنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ" (رؤ5: 8-10).

أولاً لنا تعليق على تسمية الأربعة وعشرون قسيساً (فى الترجمة البيروتية أربعة وعشرون شيخاً)، إن كلمة "شيوخ" تجعل البعض يتساءلون كيف تشيخ الملائكة فى السماء.. طبعاً الملائكة لا تشيخ.. هم أربعة وعشرون شفيعاً أو سفيراً. وتعبير "سفير" يقبله الجميع حتى الذين يكتبون "شيخ" الذين كانت لنا لقاءات معهم بالفعل وقبلوا تسميهم "سفراء" وهذا حتى لا يكون هناك اختلاف عن الترجمة من اللغة اليونانية.

والنقطة التى نريد أن نركز عليها هى أن الأربعة وعشرون قسيساً أو سفيراً عندما يقولوا "ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ"... هم يتكلمون بلسان حالنا لأنهم سفراء.. والسفير لا يتكلم عن شخصه ولكنه يتكلم عن مصالح البلد التى يمثلها. كما أن هناك شركة بيننا وبين الملائكة لدرجة أن الملائكة يأتون ويحضرون القداس الإلهى.

ويكمل سفر الرؤيا كما يلى: "وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ،. قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ." (رؤ5: 12،11).

كلمة "الحيوانات" المذكورة هنا مقصود بها "الأحياء" أو "الكائنات الحيّة"، لأن كلمة "حيوان" مشتقة من كلمة "حياة". هم ليسوا حيوانات بل كائنات حيّة والدليل على ذلك هو أن ضمنهم شبه إنسان. فهم ملائكة أحدهم مثل أسد -أى أن صفة الأسد البارزة موجودة فيه- وآخر مثل النسر إلخ. ونحن فى اللغة الدارجة أحياناً نقول فلان مثل الأسد أو مثل النسر والمقصود أن له صفة الأسد أو النسر. طبعاً ليس المقصود أن له أربعة أرجل أو أنه يأكل لأنه لا توجد حيوانات ولا أكل فى السماء. لكن المقصود هو أنهم أحياء أو كائنات حية. ويقال أن الإنسان هو حيوان ناطق، لأن كلمة "حيوان" تعنى كائن حى، وهى مشتقة من كلمة "حياة" التى تكتب "حيوه" فى بعض الأحيان وإن حذفنا منها الحرف الأخير (الهاء المربوطة) ووضعنا بدلاً منه (ان) تكون كلمة "حيوان"، المشتقة من كلمة "حياة". والحيوانات فى الكتاب المقدس يطلق عليها "ذوات الأنفس الحية".

لقد انتهزت الفرصة لكى أوضح بعض الكلمات التى يتساءل فيها البعض مثل "حيوانات" و"شيوخ".

نكمل من سفر الرؤيا: "وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ" (رؤ5: 12،11).

فى القداس نحن نقول: "أكسيون كيه ذى كيئون" بمعنى "مستحق وعادل". وفى سفر الرؤيا أكثر من مرة ذكر: "وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: **مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ** أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ" (رؤ5: 9). وفى مرة ثانية يقول: "**مُسْتَحِقٌّ** هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ"(رؤ5: 12). فعبارة "أكسيون كى ذى كيئون" تكررت أكثر من مرة.. وسجدوا أمام الخروف المذبوح الذى هو المسيح حمل الله الذى يحمل خطية العالم، الذى صلب من أجلنا.

يكمل سفر الرؤيا: "قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ. وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ (الآب) وَلِلْخروفِ (الابن) الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ5: 12،13).

هنا تتضح وحدانية الآب والابن (طبعاً والروح القدس) إلا أن المنظر يخص قيام السيد المسيح أمام الآب يشفع فينا بدمه.. هم يعطون "لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَروفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ5: 13)، مجد واحد، وسلطان واحد، وكرامة واحدة للآب والابن بلا تفريق لأنه لاهوت واحد للثالوث القدوس، فالآب والابن لاهوت واحد.. وإن كان الآب والد والابن مولود ولكنه مولود من الآب قبل كل الدهور أى مولود بلا انفصال لأنه كلمة الله.

يكمل: "وَكَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ (الكائنات الحية) الأَرْبَعَةُ تَقُولُ: آمِينَ. وَالشُّيُوخُ (السفراء) الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ خَرُّوا وَسَجَدُوا لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ5: 14). من البداية قُدّم السجود للخروف لأنه يقول: "وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخاً أَمَامَ الْخروفِ" (رؤ5: 8).وفى مرة أخرى قال: "لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَروفِ" وبعد هذا قال: "خَرُّوا وَسَجَدُوا لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ5: 14). و"الحى" هو الثالوث القدوس.

**ما هى الترنيمة الجديدة ولماذا:**

إن القداس هو ترنيمة جديدة الذى هو الإفخارستيا.. فقد سبق وقال الرائى فى الأصحاح الرابع أنهم كانوا يسبحون الله، ولم يذكر الخروف المذبوح، فقال أنه رآى العرش السماوى وأنه يوجد أربعة أحياء غير متجسديين لكل واحد ستة أجنحة وهى مملؤة عيوناً، وأربعة وعشرون سفيراً هم القسوس كما يسميهم البعض يسبحون قائلين: "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ والَّذِي يَأْتِي" (رؤ4: 8). ونحن فى القداس نقول تسبحة الثلاثة تقديسات لأن التقديس هو للآب والابن والروح القدس Trisagion (تري سجيون) أى تسبحة الثلاثة تقديسات.

ويكمل: "وَحِينَمَا تُعْطِي الْحَيَوَانَاتُ مَجْداً وَكَرَامَةً وَشُكْراً لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ،. يَخِرُّ الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخاً قُدَّامَ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَسْجُدُونَ لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، وَيَطْرَحُونَ أَكَالِيلَهُمْ أَمَامَ الْعَرْشِ قَائِلِينَ: **أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ**" (رؤ4: 9-11).

فى هذه الترنيمة هم يشكرون الله على أنه خلق العالم كله وكل الكائنات التى فيه سواء الملائكة أو البشر. لكن، بعد هذا **عندما تم فتح مشهد الخلاص وظهر الخروف المذبوح صارت الترنيمة الجديدة**.. لماذا؟ ذلك لأن موضوع خلقة الله للعالم هو تسبحة المشهد الأول، لكن الآن عندما أتم الله الخلاص تألق حبه بصورة غير موصوفة، وسوف يظل هذا الحب الباذل هو موضوع تسبيحنا "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو3: 16). ستكون هذه هى تسبحة السمائيين إلى أبد الدهور. ولهذا نحن فى القداس نشارك مع هذه الترنيمة الجديدة وهذه الترنيمة الجديدة كلها هى عبارة عن شكر.

فى بداية حديثنا قلنا أن سر القربان المقدس يسمى سر الشكر "الإفخارستيا"، لأن هذا سيكون موضوع تسبيح الخليقة كلها فى السماء وعلى الأرض، الآن ثم بعد ذلك عندما يذهب هؤلاء الأرضيون إلى السماء سوف تكون تسبحة كل السمائيين بما فيهم البشر المفديين هى أن يشكروا الجالس على العرش والخروف على الخلاص الذى تم.

وسواء كان القداس موجهاً إلى الآب مثل القداس الباسيلى أو إلى الابن مثل القداس الغريغورى ففى كل الأحوال نحن نشكر الله من خلال الذبيحة على هذا الخلاص العظيم.

فى القداس الباسيلى يقول الكاهن: "وفى آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت بالظهور المحى الذى لإبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح هذا الذى من الروح القدس ومن مريم العذراء تجسد وتأنس وعلمنا طرق الخلاص منعماً لنا بالميلاد الفوقانى بواسطة الماء والروح، هذا الذى أحب خاصته الذين فى العالم وسلّم ذاته فداءً عنا إلى الموت الذى تملك علينا".

فبعد أن شكرنا الله وقدمنا تسبحة الثلاثة تقديسات "آجيوس، آجيوس، آجيوس" نقول: "هذا الذى سلّم نفسه فداءً عنا إلى الموت الذى تملك علينا.. ونزل إلى الجحيم من قبل الصليب... قام من الأموات" ثم نقول: "لأنه فيما هو راسم أن يسلم ذاته عن حياة العالم أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين"، ثم نقص قصة تأسيس سر الإفخارستيا الذى عمله السيد المسيح مع تلاميذه عندما قال: "خذوا كلوا هذا هو جسدى.. خذوا اشربوا هذا هو دمى" (انظر مت 26، مر 14). ولأجل هذا قال معلمنا بولس الرسول "فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ" (1 كو 11: 26). أى أنكم تقصون قصة موت المسيح وقيامته وتبشرون بهذا الأمر للعالم كله ولأنفسكم أولاً.

**القداس هو عبارة عن احتفال للشكر ومشاركة السمائيين فى هذه الترنيمة الجديدة وهى "مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْخَروفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ (لماذا؟) لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ"** (رؤ5: 12،9).

وبالطبع فإن الملائكة فى السماء ليسوا قبيلة ولا شعب ولا أمة، ولكن كما قلنا هم "يرسلون تسبحة الغلبة والخلاص الذى لنا"، ويقولون ما سوف نقوله نحن عندما نذهب إلى الأبدية وهو ما نقوله الآن فى القداس لأن القداس هو عربون الأبدية.

**ما هو سر الإفخارستيا**

فى رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس يقول: "أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ: احْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ. كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ. انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟ فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟ بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لاَ لِلَّهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ. أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ؟ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ؟" (1كو10: 15-22). هذا الجزء مهم جداً حتى نفهم بالضبظ ما هو سر الإفخارستيا وسوف نكمل بجزء من الأصحاح الحادى عشر.

يقول معلمنا بولس الرسول: "الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟" إذن الخبز الذى نكسره ليس خبزاً عادياً، وكذلك كأس البركة التى نباركها بعد أن نباركها لا يكون ما بداخلها هو خمر عادى أو خمر ممزوج بالماء، لأنه يقول "شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ... شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ". فلا الكأس به خمرعادى ممزوج بالماء، ولا الخبز هو خبز عادى.

ويكمل: "فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ." أى أننا إذ نتناول كلنا من جسد الرب ودمه، ولأن جسد الرب الذى فى الإفخارستيا هو نفس الجسد فى كل مكان فى العالم فى الكنائس الأرثوذكسية أو الكنائس المشتركة معنا فى الإيمان، لهذا نصير جميعاً متحدين من خلال أننا كلنا نشترك فى هذا السر العظيم الذى هو التناول من جسد الرب ودمه. أى أننا نصير متحدين روحياً بإخوتنا الموجودين فى كل مكان. فإن كنا فى أمريكا الآن نتحد مع اخوتنا الذين فى مصر أو أوروبا أو أى مكان، بسبب أننا جميعاً نتحد بالمسيح الرأس الذى هو رأس الكنيسة (انظر أف5: 23).

**المسيح رأس الكنيسة**

إننا جميعاً أعضاء فى جسد واحد هو الكنيسة، لكن هذه الكنيسة لها رأس هو المسيح، وعندما نتحد جميعنا بالرأس فمن الطبيعى أن نتحد ببعضنا البعض. فلا ينفع أن اليد اليمنى أواليد اليسرى فى الجسد يدّعون أنهما غير متحدين، لأنهم متحدين بالرأس. والرأس هى التى تحرك اليد اليمنى واليسرى، وهى التى تجعل اليدين يحملان معاً شيئاً واحداً. فالرأس هى التى تحرك كل عضو فى الجسد وهى التى تنظم كل شئ. وبسبب اتحاد كل الأعضاء بالرأس فإن كل الأعضاء يكونون جسداً واحداً.

إلا أن جسد المسيح الخاص الإلهى ليس أصبع فى جسد الكنيسة ولا يد ولا رجل، بل هو الرأس. فجسده الإلهى الذى ولد من العذراء وصلب على الصليب هو رأس الكنيسة. السيد المسيح له رأس وجسد، لكن هو برأسه وجسده الإلهى كله بما فى ذلك يده ورجليه هو رأس الكنيسة بما فى ذلك رأسه.

إذن هناك فرق بين جسده الخاص الذى صلب على الصليب الذى يعتبر هو ورأسه واحداً، وبين جسده العام الذى هو جماعة المؤمنين. فجسده الخاص متحد باللاهوت اتحاداً طبيعياً ويكونان معاً طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة. ولكن جسده بمعنى الكنيسة هو جماعة المؤمنين الذين يزدادون أو ينقصون، فالبعض قد يترك الكنيسة ويبعد عن الله ويقطع، والبعض لم يولد بعد، أو ولد وتعمد ودخل فى عضوية جسد المسيح. هذا الجسد يزداد وينقص.. وفى هذا الجسد هناك من يخطئون.. ولكن جسد السيد المسيح الخاص المتحد باللاهوت لا يزيد ولا ينقص ولا يخطئ.. طبعاً حاشا، وهنا الفرق... الجسد الإلهى غير جسد المسيح بمعنى الكنيسة، إذن جسد المسيح له معنيان، كما أن جسده الخاص أيضاً له معنيان..

**ثلاثة أمور فيما يخص جسد المسيح:**

**أولاً:** جسد المسيح الذى ولد من العذراء وصلب على الصليب وقام من الأموات وصعد إلى السماء وهو نفسه الحاضر فى الإفخارستيا ولكن تحت أعراض الخبز والخمر. لذلك قال معلمنا بولس الرسول "الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟" (1كو10: 16). فلم يعد الخبز خبزاً عادياً، ولكنه صار جسد الرب لكن تحت أعراض الخبز، فلا يكون مثل اللحم الذى يحتوى على خلايا لحمية، وهكذا الخمر يصير دم تحت أعراض الخمر لكنه لا يحتوى على الهيموجلوبين مثلاً.. لا طبعاً.. وإلا لما استطاع أحد أن يتناوله، لأنه يصعب على الناس أن يأكلوا لحم ويشربوا دم بمعنى كرات دم حمراء وبلازما إلخ..

الجسد الذى نتناوله هو بالفعل نفس الجسد الذى صلب. لذلك فإن الأسقف أو الكاهن فى القداس الإلهى يمسك الصنية ويقول: "**اعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحى** الذى أخذه ابنك الوحيد من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير.. واعترف الاعتراف الحسن.... وسلمه عنا على خشبة الصليب المقدسة". فنفس الجسد الذى ولد من العذراء وصلب على الصليب يكون هذا الجسد الإلهى نفسه حاضراً ومتحداً باللاهوت فى سر الإفخارستيا، كامتداد للتجسد والصلب وليس كتكرار لأن التجسد لا يتكرر والصلب لا يتكرر.. هى ذبيحة واحدة..

فى سفر إشعياء النبى قيل: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخُمِهَا. فَيَكُونُ عَلاَمَةً وَشَهَادَةً لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لأَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ بِسَبَبِ الْمُضَايِقِينَ فَيُرْسِلُ لَهُمْ مُخَلِّصاً وَمُحَامِياً وَيُنْقِذُهُمْ. فَيُعْرَفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ وَيَعْرِفُ الْمِصْريُّونَ الرَّبَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً وَيَنْذُرُونَ لِلرَّبِّ نَذْراً وَيُوفُونَ بِهِ." (إش19: 19-21). يقول "يُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً وَيَنْذُرُونَ لِلرَّبِّ" لاحظوا أنه قال "ذبيحة" وليس ذبائح، وقال "يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ". هى ذبيحة واحدة.. ذبيحة الصليب هى نفسها تكون حاضرة بالسرالمقدس فى القداس عبر الزمان لأنها فوق الزمان.

الجسد هو نفسه جسد الرب، ولكن تحت أعراض الخبز والخمر، بعد حلول الروح القدس وتحول القرابين إلى جسد حقيقى ودم حقيقى. إذن جسده الذى صلب وصعد إلى السماء وهذا لن يأتى مرة أخرى إلا فى مجئ الرب الثانى فقط (وليس هناك مجئ ثالث ورابع، هو مجئ ثانى فقط)، هذا الجسد الموجود فى قدس الأقداس فى السماء ويشفع فينا "خَروفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ" (رؤ5: 6)، هذا الجسد، سرائرياً، هو نفسه الذى نتناوله فى القداس، بسبب تأسيس السر كما قال السيد المسيح: "خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي... اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ لأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي" (مت26: 26، 27) والسيد المسيح هو الذى قال هذا وليس أحد غيره. وقال أيضاً: "جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ" (يو6: 55). "حق" بمعنى "حقيقى" أى ليس مجرد رمز.

**ثانياً:** قلت لكم أننا سنتكلم عن ثلاثة أمور: الأول كما قلنا هو جسد السيد المسيح الذى صلب على الصليب وصعد إلى السماء، هذا نفسه تحت أعراض الخبز والخمر يكون موجوداً فى الإفخارستيا. ولأجل هذا فإن النقطة الثانية ليست جسداً آخر لكن هو نفس الجسد ولكن تحت أعراض الخبز والخمر. لأن الجسد الذى صعد إلى السماء يجب أن يظل هناك ولا يمكن أن يترك السماء ويذهب إلى مكان آخر.

هنا والبعض يسألون: ألا يذهب السيد المسيح قليلاً إلى الفردوس ليفرّح القديسين الذين فى الفردوس؟ بالطبع لا.. كيف يترك السماء؟! من الذى سيشفع فى السماء إن هو ترك السماء؟ ولمن تقدم التسبحة إن هو ترك السماء؟ من المستحيل أن يترك مكانه هناك حتى يُغلق باب الغفران ويأتى فى اليوم الأخير حيث لا يشفع بعد بل يدين لأنه مكتوب "لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلاِبْنِ" (يو5: 22)، لأنه هو الذى دفع الثمن على الصليب، إذن هو الذى يجب أن يدين العالم كله.

قلنا أن جسد السيد المسيح الذى فى السماء لا يغادر مكانه أبداً، هذا الجسد الذى صعد إلى السماء، هو نفسه الذى يكون فى الإفخارستيا ولكن بالسر، أى سرائرياً بطريقة فائقة للطبيعة، فى كل قداس بعد حلول الروح القدس بشرط أن يكون الكاهن كاهناً قانونياً ليتم السر (ليس مثل الذين يرتدون ملابس الكهنوت ويجعلون أنفسهم كهنة كما عمل البعض، أو أن يكون مشلوحاً).

النقطة الأولى والثانية لا يوجد انفصال بينهما لأنه هو نفس الجسد ولكن الذى فى السماء هو الذى صلب وولد من العذراء وصعد إلى السماء، والذى فى الإفخارستيا هو نفسه ولكن تحت أعراض الخبز والخمر.

الجسد الذى فى السماء ليس خبزاً وخمراً وهذه هى النقطة التى تميز الجسد الذى فى السماء من الجسد الذى على المذبح. الذى فى السماء ليس خبز وخمر ولكن الذى على المذبح هو خبز وخمر، ولكن هو نفسه وليس آخر، وهو موجود فى كل قداس فى أى مكان طالما القداس قانونياً.

**ثالثاً**: جسده بمعنى الكنيسة وهذا شئ آخر تماماً.. هناك من يقولون أن جسده الذى فى السماء هو جسده الذى على المذبح هو جسده بمعنى الكنيسة.. هذا الكلام غير صحيح!! لأن الكنيسة ليست متحدة باللاهوت، ولا يسجد لها سجود العبادة.. فهل نسجد لأى شخص إن كان متناولاً أو غير متناول ونقول: "نسجد لك أيها المسيح إلهنا"؟!! بالطبع لا.. هل نسجد كلنا لأى شخص عضو فى الكنيسة؟! من يسجد لمن!؟

والميطانيات ليست عبادة.. فمثلاً ممكن أن يضرب شخص ميطانية للاعتذار لآخر وممكن يضرب أسقف ميطانية لشخص علمانى للاعتذار. ومن الممكن أن شخص علمانى يعمل ميطانية لقداسة البابا أو أحد الآباء الأساقفة كنوع من الاحترام لكن هذه ليست عبادة.. أما إن كنا نحن الجسد الإلهى ففى هذه الحالة يجب أن تقدم لنا الناس العبادة.

نحن نسجد فى القداس لجسد الرب ودمه ونقول: "نسجد لجسدك المقدس". وعلى رأى قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الله فى عمره- الذى قال أنه لو كانت الكنيسة هى جسد المسيح بمعنى الجسد الإلهى إذن نحن نأكل أنفسنا فى القداس. كيف نتناول جسد المسيح ونحن جسد المسيح؟!! ما الفائدة إن أكلنا أنفسنا؟!!

يضيف قداسة البابا أن الكنيسة بها أعضاء ممكن يخطئوا، ولكن جسد المسيح الإلهى لا يوجد فيه مجال للخطية نهائياً.. بالطبع الذى يخطئ يتم منعه من التناول فترة زمنة حتى يتوب وبعد ذلك يحترس ويفحص نفسه ويتقدم للتناول بعد ما يأخذ الحل لكى يجدد اتحاده بالمسيح.

**بماذا نتحد فى الإفخارستيا:**

هل نتحد بالاهوت؟ لا طبعاً.. **بل نتحد بالحياة الأبدية**..

جسد المسيح هو المتحد باللاهوت، فعندما نتناوله تخرج قوة منه مثلما حدث للمرأة نازفة الدم التى ذكرها معلمنا مرقس الرسول إذ قال: "وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقَدْ تَأَلَّمَتْ كَثِيراً مِنْ أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا وَلَمْ تَنْتَفِعْ شَيْئاً بَلْ صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسُوعَ جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مِنْ وَرَاءٍ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ. لأَنَّهَا قَالَتْ: إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ. فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا وَعَلِمَتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا قَدْ بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ. فَلِلْوَقْتِ الْتَفَتَ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِراً فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَالَ: مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟ فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: أَنْتَ تَنْظُرُ الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ وَتَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي؟ وَكَانَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي فَعَلَتْ هَذَا. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَجَاءَتْ وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ عَالِمَةً بِمَا حَصَلَ لَهَا فَخَرَّتْ وَقَالَتْ لَهُ الْحَقَّ كُلَّهُ. فَقَالَ لَهَا: يَا ابْنَةُ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ." (مر5: 25-34).

حينما لمست المرأة نازفة الدم ثياب السيد المسيح برئت فى الحال، ولكى يبين هو ما حدث سأل من لمسنى، لأن قوة خرجت منه. ونحن حينما نتناول جسد الرب ودمه تخرج منه قوة الحياة الأبدية، ولذلك قال: "فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي" (يو6: 57). وقال: "لأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ **الْوَاهِبُ حَيَاةً** لِلْعَالَمِ" (يو6: 33). واهب حياة.. "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ... مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يو6: 56،54). لأن **من يتناول يجدد اتحاده بالحياة الأبدية الذى تم فى المعمودية حيث يتحد بالمسيح بما حدث فى موته وقيامته وعبر حكم الموت الأبدى وتحرر من حكم الموت الأبدى** (إلا إذا باع نفسه للخطية مرة أخرى فهذا موضوع آخر).

فى المعمودية نتحد بالمسيح فى موته وقيامته. فيقول معلمنا بولس الرسول: "فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ" (رو6: 4-6).

إذا أخطأ شخص بعد المعمودية ماذا يفعل؟ فى هذه الحالة يكون مفعول الحياة الأبدية قد دخل إليه شئ مضاد لأنه اتحد بالموت بسبب الخطية، فماذا يعمل؟ يعترف بالخطية ويأخذ الحل بسلطان الروح القدس الذى اعطاه السيد المسيح للتلاميذ، لما نفخ فى وجوههم وقال: "أقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو20: 23،22). عندما يعترف الخاطئ ويصلى له الكاهن التحليل يحالل من ربطات الموت والخطية. ويأخذ الحل لكى يتقدم للتناول وعندما يتناول يتجدد اتحاده بالحياة الأبدية، ويتجدد مفعول الاتحاد بموت المسيح وقيامته. لذلك عندما تتناول تشعر أنك تتحد بالحياة الأبدية، لماذا؟ لأن عوامل الموت قد دخلت إلىّ بالخطية لذلك أتحد بالحياة الأبدية لكى تتجدد مفاعيل المعمودية التى أخذتها.

فى صلوات القداس الإلهى فى نهاية الاعتراف الأخير يقول الكاهن: "يعطى عنا خلاصاً وغفران للخطايا **وحياة أبدية** لمن يتناول منه". فلا تصدقوا الذين يقولون أننا نتحد بالاهوت!! من يقدر أن يتحد باللاهوت؟!!

إننا فى الإفخارستيا نتحد بالسيد المسيح الله الكلمة المتجسد، نتحد به لأن الحياة الأبدية كطاقة (إنرجيا) تسرى فى كيانى فأكون مهيأ لقيامة الأموات عندما يأتى هو بنفسه لكى يقيم الأموات "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يو5: 25).

مثال للتوضيح: إن لم يكن لديك Dish )دش( فى المنزل هل تقدر أن تدخل على إرسال محطات القنوات الفضائية مهما عملت؟ هكذا إن لم يكن عندك الاتحاد بالمسيح القائم من الأموات فى المعمودية أو أنك تجدده فى سر التناول إذن سيظل يدعوك وأنت لا تستقبل النداء.. هذا لو دعاك فرضاً لأنك لا يوجد عندك استقبال لصوت ابن الله، ولذلك قال: "وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يو5: 25)، أى الذين لديهم إمكانية سماع صوته. أما الذين عاشوا فى الخطية فسوف يكونون صماً لأنهم عاشوا فى الخطية ولم يتحدوا بالحياة الأبدية. سوف يسمعونه بطريقة أخرى عندما يقول لهم: "اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ. لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَاناً فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضاً وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضاً: يَارَبُّ مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟. فَيُجِيبُهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (مت25: 41-46).

نحن نتناول جسد الرب ودمه جوهر حقيقى متحد بالاهوت.. ولكن عندما يدخل هذا الجسد إلى داخلى لا يشترط أن اتحد به على مستوى اتحاد بحسب الطبيعة، لأن الاتحاد درجات. فمثلاً: يتحد الرجل وزوجته فى سر الافخارستيا ويكونان جسداً، واحداً ونحن جميعنا نصير جسداً واحداً كما قال معلمنا بولس الرسول "جَسَدٌ وَاحِدٌ" (1كو10: 17). نحن جميعاً أعضاء فى جسد واحد، ولكن ليس معنى هذا أن كل الرجال متزوجين من كل السيدات الذين فى الكنيسة!.. الاتحاد فى سر الزواج هو مستوى معين من الاتحاد قيل عنه "إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (مت19: 6). لا يفرقهما شئ إلا الموت فتصبح المرأة حرة أن تتزوج بعد موت زوجها لكن طالما أنه على قيد الحياة "فالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (مت19: 6)، والطلاق الذى لعلة الزنا هو وضع آخر.

إن الاتحاد بين الرجل والمرأة اتحاد سرائرى فى سر الزواج المقدس ولا يستطيع أحد مهما كان أن يفك هذا الرباط حتى لو كان أسقف أو رئيس أساقفة.. إذا لم يكن الموت أو الخيانة الزوجية لا يقدر أحد فى الوجود أن يفصل هذا الأرتباط لأن "الَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (مت19: 6). وكل إنسان فى الكنيسة مهما كانت رتبته فى الكنيسة هو إنسان. إن الاتحاد بين الرجل وامراته يجعلهما جسداً واحداً.. هما جسداً واحداً داخل الجسد الواحد الذى هو جماعة المؤمنين.. لكن الرباط بين الرجل وزوجته هو اتحاد خاص من نوع خاص فى سر الزيجة المقدس.

إن الاتحاد العام بين المؤمنين بسبب اتحادنا بالسيد المسيح فهو على مستوى عمومى وليس خصوصى. إذن الاتحاد هو على مستويات، فأنا لا اتحد بالافخارستيا اتحاداً طبيعياً أى ς )اينوسيس كاتا فيزين( الذى هو الاتحاد الطبيعى وباللغة الإنجليزية natural union وليس هو اتحاد بحسب الجوهرnot union according to essence وليس اتحاداً اقنومياً hypostatic union وباليونانية ς (إينوسيس كاث ايبوستاسين).

**إن الاتحاد الطبيعى والاقنومى والاتحاد بحسب الجوهر هو فقط فى تجسد الكلمة**، ولذلك يقول: "اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (1تي3: 16). ولكن من أنا حتى اتحد بالاهوت؟!! من أكون هل الآب أم الابن أم الروح القدس؟!!

يدّعى البعض أننا نتحد بالروح القدس فى سر المسحة!!! فى أحد المرات قال شخص لقداسة البابا فى الكلية الإكليريكية أنه يتحد بالروح القدس اتحاداً أقنومياً.. فرد عليه قداسة البابا وقال: إذن أنت الروح القدس وعلينا أن نقول لك المجد لك إلى الأبد يا فلان!! فضجك كل الطلبة الحاضرين..

هل نتحد بالروح القدس فى سر المسحة المقدسة فنصير نحن الروح القدس!!؟ ونتحد بالابن فى سر التناول فنصير نحن المسيح، الابن، كلمة الله؟!! عندما كتب قداسة البابا بعض المقالات للرد على هذه الأفكار كتب لهم: "قليل من الإتضاع يا إخوتى". أى اتضعوا قليلاً فلا يظن أحدكم أنه أصبح هو الله!! هذا يجعل المسيحية تبدو وكأنها تنادى بالشرك حينما يصبح كل المؤمنيين فى الكنيسة هم الله!!

لا يمكننى أن اتحد بالاهوت ولكنى أتحد بحسب الطاقة (كاتا انرجيان) Energetic union وليس بحسب الطبيعة (كاتا فيزين)natural union .

ثم إن كان هناك شخص غير تأب ولا معترف ويعيش فى الخطية ودخل إلى كنيسة لا يعرفه فيها أحد وسمح لنفسه أن يتقدم للتناول، هنا يقول معلمنا بولس الرسول: "إِذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ **بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً** فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ" (1كو11: 27). فهل المجرم يتحد بالاهوت؟! إذن على الرغم من أن جسد السيد المسيح دخل إلى داخله وتم إمتصاصه بواسطة الجهاز الهضمى وسرى فى جسده إلا أن جسد المسيح يظل مميزاً عن طبيعة المتناول الخاصة. فى هذه الحالة لا يكون اتحاد طاقوى Energetic union (كاتا انرجيان) ولا اتحاد طبيعى natural union (كاتا فيزين) لأنه لا يكون هناك اتحاد أصلاً، بل على العكس يصير التناول عن غير استحقاق هو نار حارقة، لأن الشخص "يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ" (1كو11: 27).

**علينا أن نفهم فكرة الأجساد الثلاثة جيداً فلا نمزج بين جسد السيد المسيح الموجود فى السماء وهو نفسه تحت اعراض الخبز والخمر يكون فى الافخارستيا، وبين جسد المسيح بمعنى الكنيسة.** البندين الأولين هما واحد ولكن الثالث هو معنى آخر مختلف، وإن كان يسمى جسد المسيح أيضاً، ففى رسالة معلمنا بولس الرسول إلى أهل أفسس يقول: "وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ" (أف1: 23،22). فالآب جعله هو رأس الكنيسة.

لا يمكننا أبداً أن نمزج بين المسيح الرأس وبين الكنيسة باعتبارها الجسد. والذى يربط الرأس بالجسد هو الروح القدس وسر الإفخارستيا لأننا ننال فيه الحياة. والسيد المسيح قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يو14: 6)، وقال "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يو11: 25). ومعلمنا بولس الرسول قال: "لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ" (في: 21). **نحن نأخذ الحياة من المسيح، هذه الحياة تصلنا من الرأس وتدخل إلى الجسد من خلال سر الإفخارستيا**. أما الرقبة بين الرأس والجسد فهى الخدمة الكهنوتية التى يمارسها خدام الكهنوت لكى يتمموا الأسرار. ولكن هؤلاء الخدام يحسبون من الجسد وليس من الرأس، لأن الرقبة هى من الجسد.. وهذا مجرد تشبيه لن نخرج منه بعقيدة.

**مائدة الرب**

يكمل معلمنا بولس الرسول إلى نقطة هامة: "انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟ فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟ بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لاَ لِلَّهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ. أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ؟ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ" (1كو10: 18-22).

وعبارة " أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ" تدل على أنه يوجد شئ يوحّد الوثن الذى هو الإله الوثنى مع ذبيحة الوثن. فهناك ارتباط قوى كينونى بين الذبيحة والوثن. لأجل هذا عندما نقدّم ذبيحة الأفخارستيا للمسيح نقول: "نقرب لك قرابينك من الذى لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال". ونحن نقدم الذبيحة للابن لأنه هو نفسه يقدم الذبيحة للآب، ويمكن أن نقدمها للآب مباشرة.

يكمل معلمنا بولس الرسول بقوله: "بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لاَ لِلَّهِ". وهنا بدأ معلمنا بولس الرسول يبرز أن هذه الأوثان بداخلها الشياطين، وأن عبادة الأصنام هى عبادة للشيطان، والذبائح التى تقرّب هى للشيطان أى مقدّمة للشيطان. ويكمل: "فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ" أى لا يريدهم أن يأكلوا من ذبائح الأوثان.

لاحظوا الآن أنه سينتقل إلى الكلام عن المذبح ويسميه مائدة فيقول: "لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ"، لذلك يقول الكاهن فى صلاة الشكر فى القداس: "انزعها عنا وعن سائر شعبك.. وعن هذه المائدة" "Ebol a tai`trapeza qai (ايفول ها تاى ترابيزا ثاى) وكلمة trapeza ترابيزا تعنى مائدة[[2]](#footnote-2).

يكمل معلمنا بولس الرسول بقوله: "لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ". فإذن حينما قال "لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ" (1كو10: 21)، وكان يتكلم عن أن: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟" (1كو10: 18). أى أن من يأكلون ذبيحة الأوثان هم شركاء مذبح الأوثان، ومن يأكلون ذبيحة الإفخارستيا هم شركاء مذبح الإفخارستيا. وإذا لاحظتم تسلسل الكلام تجدون أن المائدة ارتبطت بالمذبح. ويقول إشعياء النبى: "يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ" (اش19: 19).

وقد قال قداسة البابا -أطال الله حياته- عن المذبح الذى فى وسط أرض مصر أنه لا يمكن أن يكون مذبحاً لليهود، لأن مذبح اليهود هو فى أورشليم فقط، وكان اليهود يأتون من جميع أنحاء العالم لكى يقدموا الذبائح فى أورشليم، وقد هُدم الهيكل وانتهى وانتهت الذبائح الحيوانية التى كانت تقدم فيه، كما لا ينفع أن يكون هذا المذبح الذى فى وسط أرض مصر مذبحاً للأوثان لأن إشعياء النبى يقول أنه مذبح للرب: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ **مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ** فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ" (اش19: 19)، "فَيُعْرَفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ وَيَعْرِفُ الْمِصْريُّونَ الرَّبَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ **وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً وَيَنْذُرُونَ لِلرَّبِّ** نَذْراً وَيُوفُونَ بِهِ" (اش19: 21). "يقدمون ذبيحة وتقدمة" إذن هو مذبح للرب كما قال قداسة البابا شنودة الثالث –أطال الله حياته- هذا هو المذبح المسيحى.

حينما نربط الأصحاح التاسع عشر من بنوة إشعياء النبى بالأصحاح العاشر من رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس نعرف أن المقصود بمائدة الرب التى ذكرها معلمنا بولس هى المذبح الذى تكلم عنه إشعياء النبى.

ونلاحظ التسلسل أن معلمنا بولس الرسول يبدأ أولاً من إسرائيل قبل أن يذكر الأوثان فيقول: "انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ، أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟" فيبدأ الحديث من اليهود أى الذبائح اليهودية التى لم تكن مُحرّمة بل كانت هى التى أمر بها الرب فى العهد القديم. ثم انتقل بالتشبيه من الذبائح اليهودية التى لم تكن تكن مُحرّمة فى العهد القديم إلى ذبائح الأوثان فقال: "فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟" (1كو10: 19). بمعنى أن من يأكل ذبيحة الوثن يكون شريك مذبح الوثن، وشريك الوثن، بل وشريك الشيطان، فيقول: "بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لاَ لِلَّهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ" (1كو10: 20).

ثم قال: "لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ، لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ، أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ؟ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ؟" (1كو10: 21،22)، وهنا نلاحظ خطورة الأمر لدرجة أن معلمنا بولس يقول هل نُغِيرُ الرب نفسه؟ وكلمة "نُغِيرُ" تعنى **provoke** أى نغيظ الرب فهل نحن أقوى منه حتى نغيره؟ كيف نجبره على شئ؟

بعد هذه المقارنة مع ذبائح العهد القديم التى لم تكن مُحرمة، ومع الذبائح الوثنية، بدأ يضع فاصلاً شديداً جداً بين شركة ذبائح الأوثان، وبين شركة جسد الرب ودمه اللذان فى مائدة الرب أو فى مذبح العهد الجديد، وهذه خلاصة هذه الجزئية.

**عشاء الرب:**

فى الإصحاح الحادى عشر من الرسالة الأولى لأهل كورنثوس تكلم معلمنا بولس الرسول عن الكنيسة واجتماعاتها وأصول الأكل فيها فقال: "فَحِينَ تَجْتَمِعُونَ مَعاً لَيْسَ هُوَ لأَكْلِ عَشَاءِ الرَّبِّ" (1كو11: 20)، أى ليس لكى تحتفلوا بالإفخارستيا. وقد أطلق بولس الرسول على الإفخارستيا "عَشَاءِ الرَّبِّ" ونحن نطلق عليه أحياناً "العشاء الأخير" أو "العشاء السرى"، ولكن اللفظ الكتابى هنا هو "عَشَاءِ الرَّبِّ" وهو أجمل من عبارة "العشاء الأخير"، لأن عبارة "العشاء الأخير" تشمل عشاءين هما الفصح اليهودى الذى عمله الرب أولاً ثم انتقل بعده إلى سر الإفخارستيا، فلذلك عبارة "عَشَاءِ الرَّبِّ" هى أجمل من عبارة "العشاء الأخير".

**ليس تذكاراً**

بعدما آمن القديس بولس بالسيد المسيح هرب من دمشق ومكث ثلاث سنوات فى العربية فى الصحراء وهناك تسلم من الرب فقال: "لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً، وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمُ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي، كَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَمَا تَعَشَّوْا قَائِلاً: هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي، فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ، إِذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ، وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ، لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ، مِنْ أَجْلِ هَذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ، لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ" (1كو11: 23-32).

ليس مجالنا الآن أن نتكلم فى كل تفاصيل هذا الجزء، ولكننا نريد أن نركز على بعض عبارات قليلة. يقول معلمنا بولس الرسول بالنص كما ذكرنا سابقاً هى: "فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ **تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ"** (1كو11: 26)، وقد اقتبست الكنيسة هذه العبارة فى القداس الإلهى حيث يقول الكاهن بلسان السيد المسيح: "لأنكم فى كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس **تبشرون بموتى** وتعترفونبقيامتى وتذكرونى **إلى أن أجئ**". وطبعاً لا يمكن أن نبشر بموت الرب فقط ونترك الناس فى حزن وكآبة وبكاء، لابد إذا أخبرنا بموته أن نبشر بقيامته لأن هذه هى بشارة الإنجيل، البشارة المفرحة أو الأخبار السارة. وأيضاً اقتبست الكنيسة عبارة بولس الرسول: "إِلَى أَنْ يَجِيءَ"، مع عبارة السيد المسيح: "اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (1كو11: 24)، فيقول الكاهن فى القداس: "وتذكرونى إلى أن أجئ" هذه هى النقطة الأولى.

أما عن النقطة الثانية: فقد ذكرنا قبلاً أن "**الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ**" بمعنى أنه غير قادر على أن يمييز إن كان هذا هو جسد السيد المسيح الحقيقى أم أنه مجرد رمز أو خبز عادى أو غيره؟

هنا تتضح أهمية العقيدة الأرثوذكسية بأن هذا ليس مجرد تذكار كما يدّعى البروتستانت، لأنه هل يستطيع ما هو مجرد تذكار أن يمنح الحياة الأبدية؟!

قال السيد المسيح: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي **يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ**" (يو6: 56)، "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي **فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ**" (يو6: 54)، "**مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي**" (يو6: 57).

ولذلك نقول عن الجسد فى القداس أنه "الجسد المحيى"، حيث يقول الكاهن فى الاعتراف الأخير: "أؤمن أؤمن أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو **الجسد المحيى**". نحن نقول أنه الجسد المحيى لأنه يعطينا الحياة فما نأخذه منه هو الحياة. **والحياة الممنوحة لنا منه ليست هى حياة الله لئلا يظن أحداً أنه يعطينا الحياة الإلهية. لا هو يعطينا عطية تعطينا نحن أن نحيا إلى الأبد. هى عطية، والعطايا الإلهية هى طاقات كما قال الآباء القديسون**، فقد كتب القديس باسيليوس بمنتهى الوضوح أن هناك فرق فى جوهر الله وعطاياه فالعطية هى طاقة.

**هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي**

ننتقل إلى جزئية هامة جداً وهى ما ذكره القديس بولس على لسان السيد المسيح فى قوله: "هَذِهِ **الْكَأْسُ** هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ **بِدَمِي**. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي" (1كو11: 25). هذا هو نفس ما سجله القديس لوقا: "**هَذِهِ الْكَأْسُ** هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ **بِدَمِي** الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" (لو22: 20).

أما بالنسبة للقديسين متى ومرقس فقد ذكرا أن السيد المسيح قال "اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (مت26: 27، 28**)،** "هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ" (مر14: 23، 24).

لا يوجد فرق كبير بين ما ذكره القديسين بولس ولوقا: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" وبين ما ذكره القديسين متى ومرقس، فالنتيجة واحدة وهى أن ما يوجد فى الكأس هو دم المسيح، إلا أن العبارة التى كتبها القديس لوقا الإنجيلى والتى ذكرها معلمنا بولس الرسول كشفت بُعداً معيناً وهو أن السيد المسيح لم يقل هذا هو دمى فقط، ولكن قال "**هَذِهِ الْكَأْسُ** **هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي**" أى أن هذا هو دمى الذى فى الكأس، والكأس التى بها دمى هى العهد الجديد.

**إن وجدت كنيسة ليس بها الكأس الذى به دم المسيح الحقيقى فكيف يكون فيها العهد الجديد؟!**

الذين يدّعون أن الكأس هو مجرد رمز، نسألهم هل العهد الجديد هو مجرد رمز؟!

أهمية العبارة بالطريقة التى ذكرها القديس لوقا والقديس بولس هى التأكيد على أن دمه الذى سفك على الصليب هو نفسه داخل الكأس.

إذن الكنيسة التى ليس بها الكأس التى فيها دم المسيح الحقيقى كيف يكون فيها العهد الجديد؟ هذا سؤال يحتاج إلى إجابة.. لأن الرب قال هذه الكأس هى العهد الجديد لكن ليس وهى فارغة لأنه أضاف "بدمى".

إذن العهد الجديد ليس مجرد الدم الذى سُفك على الصليب فقط، لأن الدم الذى سُفك على الصليب لا يصل إلينا إلا داخل كأس الإفخارستيا. من يستطيع أن يصل إلى دم السيد المسيح الذى سُفك على الصليب؟؟ لا يستطيع إنسان فى الوجود كله أن يصل إلى هذا الدم لكى يتحد به. ولكن السيد المسيح قبلما قدّم نفسه على الصليب أعطى تلاميذه جسده ودمه ليلة الجمعة فى الإفخارستيا وقال: "خُذُوا كُلُوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي، وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (مت26:26-28)،

قال الآباء القديسون أن السيد المسيح أراد أن يثبت أن كهنوته على رتبة ملكى صادق، وأن كهنوته أعلى من الكهنوت الهارونى.. لقد ذبحوه على الصليب ولكن لكى يثبت أنه قدّم نفسه بإرادته وليس رغماً عنه قدّم نفسه لتلاميذه فى ليلة ألامه لكى يقول أنا قدمت جسد ودمى. وأثبت أنه وهو مصلوب على الصليب هو نفسه الذى كان يُصعد ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا. هذا ما نقوله فى لحن Vai etaf enf الذى يقال فى يوم خميس العهد ويوم الجمعة العظيمة: "هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة". فهو الذبيحة وهو الكاهن، نجده على الصليب رافعاً يديه ككاهن وهو مذبوح فى نفس الوقت.

لقد أثبت السيد المسيح أن الكهنوت الهارونى كان مجرد رمز وانتهت مأموريته بأحداث صلب المسيح، فشق رئيس الكهنة ثيابه ليلة الجمعة "فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ" (مت26: 65)، (مر14: 63)، ثم انشق حجاب الهيكل "وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ" (مت27: 51) عندما سلم السيد المسيح الروح، وكأن الله يقول أن مأمورية الكهنوت الهارونى انتهت، ولكن السيد المسيح هو رئيس الكهنة الأعظم.

كتب أحد الأشخاص عن صلب المسيح عبارة أعجبتنى جداً فقال: "هو الكاهن الأعظم صعد إلى المذبح ليصلى، وفيما هو يقدم نفسه ذبيحة لله أبيه دافع عن البشرية الخاطئة أو طلب لها الغفران" (طبعاً لمن يتوب وليس لمن لا يقدم توبة).

هذه الآية التى وردت فى إنجيل معلمنا لوقا البشير وفى رسالة معلمنا بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" هى ركيزة هامة جداً فى الصراع حول سر الإفخارستيا، هل هو جسد حقيقى أم لا، ودم حقيقى أم لا؟

بصراحة وببساطة شديدة ودون شرح كثير: إذا خسرنا كأس الإفخارستيا نكون قد خسرنا العهد الجديد.. وهذا يجعلكم تعرفون قيمة كنيستكم الأرثوذكسية فى تمسكها بالأسرار الكنيسة المقدسة. ولذلك أيضاً يقول فى المزمور: "كَأْسَ الْخَلاَصِ أَخذ وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو" (مز116: 13)، هذا هو كأس الخلاص.

**جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ**

وقد قال السيد المسيح فى إنجيل القديس يوحنا: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يو6: 53)، وهذا القول خطير وقد برره بقوله: "لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ" (يو6: 55).

كلمة "حق" تعنى حقيقى، لأن كلمتى "حق" و"حقيقى" هما نفس الكلمة فى الأصل باللغة اليونانية، ولكن لأن المترجمين (من البروتستانت) أحياناً لا يريدون أن يذكروا أنه جسد حقيقى ودم حقيقى بوضوح لذلك ترجموها "حق".

**لماذا لا نغمس الجسد فى الدم؟**

**سؤال**: لماذا لا نتناول من الجسد -بما أنه جسد المسيح- وبه الدم (أى لماذا لا نغمس الجسد فى الدم ويتم تناولهما معاً)، هل لأن الدم تصفى على الصليب فأصبح الجسد بلا دم والدم وحده؟

**الإجابة**: هذه فكرة ظريفة لأن فعلاً دم المسيح تصفى وهذه حقيقة، ولكن ليس هذا هو السبب، السبب هو أن السيد المسيح قال للتلاميذ: "خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي" (مر14: 22)، ثم بعد قليل: "أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ" (مر14: 23، 24). أى أنه لم يقل خذوا اغمسوا لكن قال "خُذُوا كُلُوا" وبعد قليل قدّم الكأس وقال لهم: "اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ" (مت26: 27)، فمرت على كل واحد منهم بعدما خرج يهوذا دون ملعقة فرشف كل واحد رشفة. نحن بالطبع لا يمكن أن نطبق هذا فى مناولة الشعب..

نحن نسلك بحسب النظام الذى وضعه السيد المسيح وهو مناولة الخبز الذى هو جسد الرب ثم بعد ذلك الكأس. ومعلمنا بولس الرسول أيضاً ذكر الكأس على حدى إذ قال: "كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟" ثم قال عن الجسد على حدى: "الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟" (1كو10: 16)، وعبارة "الَّذِي نَكْسِرُهُ" تثبت أنهم فى العصر الرسولى لم يغمسوا الخبز فى الدم. وأنا لا أعرف إن كان ذلك بسبب أن دم السيد المسيح تصفى أم لسبب آخر. لكن عندما أسس السيد المسيح السر قدّم الخبز أولاً ثم الكأس، ونحن نسير على نفس الترتيب فنكسر الخبز ونسقى الكأس التى هى دم المسيح.

هذا لا يمنع أنه أحياناً فى بعض الحالات يكون الدم والجسد معاً، فمثلاً قبل الاعتراف الأخير فى القداس الإلهى يرشم الكاهن الجسد بالدم ثلاث مرات ثم يدور بالدم دائرة حول الجسد، أى أنه يُخضّب الجسد بالدم، لنقول أن هذا الدم لهذا الجسد، ثم يأخذ الإسباديقون بعد غمسه فى الدم ويرشم به الجسد، ثم يقلبه كما يقلبون الخروف لكى يُذبح، ويضعه داخل الكأس مع الرشم به على الكأس. بمعنى أننا نرشم الجسد بالدم ونرشم الدم بالجسد فى البداية والنهاية. وهذا لكى نؤكد على أن هذا الجسد لهذا الدم وهذا الدم لهذا الجسد. فالجسد يتخضب بالدم أثناء القداس ولكن الشعب لا يرى هذه الأحداث. وأيضاً حينما نضع الإسباديقون داخل الكأس إما لأن الحمل عندما يذبحونه يطرحوه على ظهره، أولأننا نريد أن نقول أن الأسرار تمت أى انكشفت الأسرار. وهذا هو آخر شئ يعمله الكاهن فى القداس وهو يقول: "جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة أمين"، وأثناء ذلك يرشم الكاهن بالإسباديقون على الكأس ويقلبه ويتركه داخل الكأس.

عندما يتناول الكاهن الخديم يتناول الإسباديقون وهو ملئ بالدم قبلما يناول الشعب، فإذا كان الكاهن بمفرده ينتهى من الجسد أولاً ثم يتناول الإسباديقون. والإسباديقون هو قلب القربانة الذى عليه الصليب الكبير وحوله اثنى عشر صليباً، وهناك جزء نفصله ثم نعيده مرة أخرى علامة على أن يهوذا ذهب وجاء متياس بدلاً منه. ونأخذ الإسباديقون الذى يمثل رأس القربانة وقلبها لأنه يرمز للسيد المسيح وحوله الاثنى عشر، ولكن كل الجسد بكامله هو جسد السيد المسيح ولكن مرسوم عليه شكل الكنيسة فى الاثنى عشر صليباً فى دائرة، ونفس هذا الشكل يكون موجوداً فى القربان الذى تشترونه. فى الحقيقة الجسد كله هو جسد السيد المسيح وهذا الرسم على القربانة لا يعنى أن الرسل صُلِبوا على الصليب، بل إن هذا هو جسد الرب الذى وُلد من العذراء.. وهكذا، ولكن هذا مجرد رمز بالرسم للمسيح وحوله الكنيسة.

ويتم وخز الجسد ثلاث وخزات فى الناحية اليمنى من الجسد ووخزتين من الناحية اليسرى وهذا يمثّل الثقوب الأربعة للمسامير وثقب الحربة فى جنبه، أى خمس ثقوب، هذه هى الثقوب الكبيرة الواضحة النافذة، بخلاف ثقوب إكليل الشوك التى لا تحسب لأنها كانت تغطى كل الرأس مثل قبعة تثقب كل جلد الرأس فوق الجمجمة.

**إعتراضين من البروتستانت بخصوص سر الإفخارستيا:**

1. **كيف يكون الشئ تذكار لنفسه؟**

للرد على هذا الاعتراض نقول أن الشئ لا يكون تذكاراً حقيقياً إلا إذا كان تذكاراً من نفس الشخص. أى إننى إذا أردت أن أحتفظ بتذكار حقيقى من والدى مثلاً، فمن الأفضل أن يكون لدى قليل من شعره مثلاً عن أن يكون لدى مجرد رباط عنق كان يرتديه فوق قميصه. رباط العنق هو تذكار ولكن التذكار الأقوى هو أن يكون هناك شئ منه هو شخصياً.. وهذا يحدث فعلاً فالذين نعتز بهم جداً نفرح إن استطعنا أن نحصل على شئ منهم هم شخصياً نحتفظ به.

أنا لدى قطعة قطن وُضِعَت على مكان حقنة حُقن بها قداسة البابا، فأخذت القطنة التى بها دم قداسته واحتفظت بها منذ حوالى 38 عام، وأنا أعتبر أن هذا تذكار حقيقى وبركة من قداسته -أطال الله لنا حياته- فما المشكلة أن يكون الشئ تذكار لنفسه؟

وأنا فى الواقع لا أعتبر أن الشخص إذا احتفظ برباط عنق والده يكون مثل أن يحتفظ بشئ من كيانه الفعلى يكون تذكار فعلى منه.

سأروى لكم قصة رمزية: كان هناك أب له ابنة تخرج وتتأخر كثيراً وتسهر خارج المنزل، وكلما عادت متأخرة يسألها والدها عن سبب تأخيرها فتقول له: سامحنى يا بابا.

بالطبع إذا حدث ذلك فى منطقة من الجنوب فى مصر قد يصل به الأمر إلى قتلها. لكن إذا كان أب حقيقى لن يمكنه ذبح ابنته، لكنه هناك مشكلة لأن الناس يقولون ألا يهم هذا الرجل سلوك ابنته؟ وأين شرفه؟

إذا ذبحها فأين أبوته؟ وإذا تركها بسلوكها هذا فأين شرفه؟

وفى أحد الليالى ارتدت الابنة ملابسها الفاخرة الجذابة وكل حُليها وأصرّت على الخروج، فشعر الوالد أنها بهذا المنظر وفى هذه الساعة المتأخرة سوف تكون فى خطر، فخرج وراءها وسار خلفها دون أن تشعر. وكانت تسير فى منطقة مقطوعة حتى تصل إلى المكان الذى به السهرة. وفجأة، إذ بخمسة من الشباب بأيديهم سكاكين يعترضون طريقها ويريدون اغتصابها وسرقة حليها، وهنا هرع نحوهم والدها وهو يصرخ قائلاً: ابنتى ابنتى اتركوا ابنتى، ففزعوا منه وتحولوا عليه وأمسكوا به وذبحوه أمامها. فلما رأت ذلك هربت هارعة إلى منزلها وظلت تبكى وتنوح وتقول: "أبى، أنا مجرمة، أنا التى تسببت فى موته، ياليتنى سمعت كلامه".

ثم أُخذت جثته إلى المشرحة وسلموا أسرته الحلة التى كان يرتديها وهى مخضبة بدمه، فعندما رأتها الإبنة ظلت تقبّلها وتحتضنها وهى تبكى وتقول: "يا حبيبى يا بابا.. أنا السبب.. أنا أجرمت فى حقك.. ماذا أفعل الآن".. وبين حين وآخر كانت تُخرج الحلة وتقبّلها وتنوح، فهذه الحلة هى تذكار للحادث وقد رأت الابنة والدها وهو يذبح أمام عينيها يسفك دمه من أجلها فأغرق دمه الحلة التى كان يرتديها، والدم الذى فى هذه الحلة ليس حبراً أحمر وإنما دم والدها نفسه.

وفى أحد الأيام سمعت الابنة طرق على الباب، فخرجت لتفتح الباب وإذ بها تجد والدها أمامها مرتدياً حلة بيضاء، فاحتضنته.. فقال لها: "لقد أعادنى الرب للحياة خصيصاً لأنه رأى أنك سوف تعيشين طوال حياتك وأنت تشعرين بأنك مجرمة، فأرسلنى لكى تعرفى أنه قد سامحك"، فقالت له: "سامحنى يا بابا"، فقال لها: "لقد أتيت لكى أقول لك أننى سامحتك وأن ربنا سامحك أيضاً".

ثم قال لها أيضاً: "ولكن الملك حينما سمع كيف ضحيت بحياتى لكى أغسل شرفى بدمى أنا وليس بدمك أنت قال لى: لابد أن تأتى إلىّ وسأبنى لك قصر كبير وفيما بعد تُحضر ابنتك لتعيش معك فى هذا القصر، لذلك سأضطر أن أتركك وأمضى ولكن كلما يحاربك الشيطان اخرجى حلتى المخضبة بدمى وتذكرى أننى غسلت خطيئتك بدمى أنا لئلا يغلبك الشيطان ثانية" ثم تركها ومضى.

هذه قصة رمزية وما أقصده من هذه القصة هو أن أوضح قصة الفداء وكيف أنه لا ينفع أن يهلك الله الإنسان ولا يقدر ألا يُظهر قداسته كرافض للخطية ورافض للشر، ولذلك ذُبح المسيح من أجل خطايانا لكى يغسل خطايانا بدمه هو، ولكى يجعلنا نحن نكره الخطيئة ونرى أن: **"**الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدّاً**"** (رو7: 13).

لكنى رويت هذه القصة الآن لكى أرد على سؤال كيف يكون التذكار هو نفس الشئ، فأقوى تذكار هو التذكار الحقيقى وليس الرمزى.

1. **كيف يكون شئ روحانى بينما هو مادى؟**

للرد نقول: بالنسبة لنا هل نحن جسد فقط أم روح فقط؟ لقد قال الكتاب: "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو3: 6)، فإن سألت أى شخص بروتستانتى هل تعتبر نفسك روح لأنك مولود من الروح على أساس أنه مكتوب "وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" فسيجيب بالإيجاب (ولو أن هذا الأمر يشترط فيه المعمودية والمعمودية كسِر مُقدس يقوم به كاهن مشرطن قانونى عليها خلاف) إذن هو يعتبر نفسه روح لكن من الذى صافحنى عندما تقابلنا، هل هو روح فقط أم له جسد أيضاً؟ طبعاً له جسد أيضاً. إذن كيف يقول أنه روح حسب الآية "الْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" بينما له جسد؟

عندما يقول الكتاب: "الْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" هذا لا يعنى أنه يفقد جسده، ولكن يعنى أن الروح فيه سوف تكون هى العنصر الفاعل والأقوى الذين قيل عنهم "الذين ينقادون بالروح"، وقيل "لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ" (رو8: 13). فعندما يكون الروح هو القائد نقول عن الإنسان أنه روحانى.

هكذا أيضاً حلول الروح القدس فى سر الإفخارستيا هو الذى يجعل هذا الخبز هو جسد الرب متحداً باللاهوت. فالعنصر الأساسى فيه هو لاهوت المسيح فى اتحاده بهذا الخبز كإمتداد للتجسد الإلهى وكذبيحة ناطقة روحانية. ونحن نقول فى القداس: "هذه الذبيحة الناطقة الروحانية غير الدموية"، وعبارة "غير الدموية" تعنى أنها ليست حيوان مذبوح ولا جسد لحمى.

نحن لنا أجساد، فإذا تعامل الله معنا بأمور روحية فقط فكيف سنشعر أن السر قد تم.

مثلاً المعمودية هى بالماء والروح لكن ما هو لزوم الماء؟ لأنى أعلم أن الماء يغسل الجسد وينظفه، لكن لابد أن الروح القدس يُخالط هذا الماء لكى يلد الولادة الجديدة.. فهى معمودية الماء والروح.. فائدة الماء هو إننى لازلت جسد وروح فجسدى يرى الأشياء المادية.

وعلى هذا المنوال سأذكر نهاية المطاف: ما لزوم أن يتجسد ابن الله الكلمة من العذراء مريم إذا كان جسد المسيح فى سر الإفخارستيا ليس جسداً محسوساً، بينما الفداء يلزمه أن الذى يُذبح على الصليب هو جسد حقيقى، وقد رفضت الكنيسة فكرة أن المسيح كان له جسد خيالى وحرمت من قالوا بهذه البدعة وهى بدعة الدوسيتزم docetism.

فهل كان الخلاص الذى تممه السيد المسيح على الصليب خلاصاً روحانياً أم غير روحانى، وهل المسيح نفسه روحانى أم غير روحانى؟ فهل سيقولون عن المسيح نفسه أنه غير روحانى!؟! وقد قيل عنه: "صَارَ آدَمُ الإِنْسَانُ الأَوَّلُ نَفْساً حَيَّةً وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحاً مُحْيِياً. لَكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلاً بَلِ الْحَيَوَانِيُّ وَبَعْدَ ذَلِكَ الرُّوحَانِيُّ. الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ. كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ هَكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيْضاً وَكَمَا هُوَ السَّمَاوِيُّ هَكَذَا السَّمَاوِيُّونَ أَيْضاً" (1كو 15: 45-48).

 هل آدم الثانى لم يكن له جسد لأنه قيل عنه "آدم الأخير روحاً محييا"؟ إن لم يكن له جسد فما الذى صُلب على الصليب؟

وقيل عن شعب الله أنهم "أَكَلُوا طَعَاماً وَاحِداً رُوحِيّاً" (1كو10: 3) ومع ذلك فقد كان الذى أكلوه هو المن ولذلك شبه السيد المسيح جسده بالمن فقال: "لأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يو6: 33) ثم قال: "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو6: 51) فكيف نلغى كل شئ له وجود محسوس فى الحياة المسيحية؟!!

فى النهاية سأسأل هل أى إنسان له جسد لا يكون إنساناً روحانياً!! هل نلغى الجسد ونستغنى عنه لكى نكون روحانيين؟!!

1. عظة فى إحتماع يوم الإثنين بنيو جرسى بتاريخ 28 مارس 2011 [↑](#footnote-ref-1)
2. وعند مرورى فى اليونان وقبرص وجدت مكتوب على البنوك كلمة ، وقد تعجبت من هذا لأنه بنك أموال، ولكن السبب فى ذلك أنه قديماً كان الصرافين يضعون أموال الصرافة على مائدة، ومن هنا جاءت كلمة  عن البنوك. وقيل أن السيد المسيح "قَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ" (مت21: 12) التى كانت فى الهيكل. ومن هنا جاءت كلمة بنك، وحتى كلمة بنك فى الأصل تعنى مائدة. وفى مصر نقول عن المائدة (ترابيزة) والكلمة أصلاً كلمة يونانية. [↑](#footnote-ref-2)